كلمة المغرب التي ألقاها الأستاذ بنعبد الله
رئيس الوفد المغربي بمدينة سمرقند
بمناسبة مرور اثني عشر قرنا على وفاة الإمام البخاري

مجلة دعوة الحق العدد 160

انعقد مهرجان كبير بمدينة سمر قند (20-23 غشت1974) بمناسبة ذكرى مرور اثني عشر قرنا على ميلاد أمير المحدثين إسماعيل البخاري الجعفي، و قد حضر هذا المهرجان عدد كبير من أعلام الفكر من أقطار العالم الإسلامي و ألقيت فيه عدة محاضرات، و كان الوفد المغربي الذي استدعى بصفة رسمية من طرف الإدارة لمسلمي أسيا الوسطى و قازاقستان يتألف من السادة **عبد العزيز بنعبد الله** الأستاذ بدار الحديث الحسنية و مدير عام مكتب تنسيق التعريب بالوطن العربي السائح و الأستاذ محمد بنعبد الله، و **كانت كلمة المغرب التي ألقاها رئيس الوفد السيد عبد العزيز بعبد الله هي مسك ختام المؤتمر و هي خلاصة لبحث طويل بعنوان:" الإمام البخاري دعامة الفكر السني بالمغرب الأقصى أو هالة الجامع الصحيح"**

و سندرج هذا البحث في العدد القادم الذي سنخصصه للإمام البخاري ضمن الأبحاث التي ألقاها أعضاء الوفد المغربي و غيرهم أعضاء الوفود الأخرى، راجين من العلماء و المفكرين في بلادنا أن يمدونا بأبحاث و دراسات تتعلق بالإمام البخاري الذي يعتبر دعامة كبرى لفكر الإسلامي و أثره في مدرسة الحديث الشريف.

و هاكم نص الفذ المختصرة التي كانت مسك ختام المؤتمر لرئيس الوفد المغربي:

لقد حضرت من المغرب الأقصى رفقة ثلة من زملائي الأساتذة المحترمين لنحيي جمعكم هذا المبارك .." الذي يشكل أروع فرصة للاحتفال بشخصية إسلامية فذة ممن أنجبتها هذه المنطقة هي شخصية أمير المؤمنين في الحديث الإمام أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي الذي نعتبره دعامة كبرى للفكر الإسلامي في مختلف الإعصار و الإمطار لا فيما وراء النهر فحسب بل في كافة أقطار العالم الإسلامي و نحن نعتبر هذه الشخصية المثالية في مغربنا العربي إلى جانب الإمام مالك أحد العمريين أو القمرين لما أسدته إلى الحضارة الإسلامية في بلادنا من مقومات الوحدة السينية انطلاقا من وحدة النص الحديثي الصحيح التي أنتجت وحدة في الفكر السلفي وفرت على المسلمين كثيرا من المجاذبات الكلامية و المهاترات بين الطوائف و الفرق و بفضل هذه البذرة الطيبة أمشى المغرب منذ أزيد من ألف عام القطر الذي لم يعرف فرقة في الرأي الدينين و لا مماحكة في أسس العقيدة لارتكازه على منهجية البخاري في الإسناد و التعديل و التجريح و يرجع الفضل في هذه البادرة الميمونة- بادرة عقد هذا المهرجان العظيم- إلى سماحة المفتي أخينا العلامة الشيخ ضياء الدين خان ابن إيثان بابا خان وحضرات أعضاء اللجنة التحضيرية و المنظمات الإسلامية في آسيا الوسطى و قازاغستان الذين ما فتئوا يبذلون قصارى الجهد لإعلاء كلمة الله و نشر معالم الإسلام و إحياء حضارة القران في هذه الديار التي يشتاق المسلمون شرقا و غربا لرؤيتها و زيارة معالمها و التملي بمآثرها استذكارا للجهابذة الأعلام الذين أنجبتهم حواضر غالبة كسمر قند و بخاري و نسق و قد اهتز العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه لهذه الذكرى التي ترجع بنا إلى اثني عشر قرنا حيث كان الفكر الإسلامي في ربعانه و أصالته و كان بودي أن أتحدث لولا ضيق الوقت عن الدور الذي قام به ملوكنا منذ نحو ألف عام في دعم حركة السنة في المغربي الأقصى بتنظيم دراسات الجامع الصحيح بالمغرب و قد أعددت سجلا طويلا في ذلك اكتفى منه القول بأن ملوكنا كانوا يستجلبون كبار المحدثين من العالم الإسلامي مثل ما فعل أمر المؤمنين جلالة املك الحسن الثاني حفظه اله الذي يجمع في شهر رمضان من كل سنة بعض أقطار الفكر الإسلامي في دروس حديثية حافلة

و صلت الماضي بالحاضر و مما امتازت به هذه الدروس أن صاحب الجلالة العالم الحسن الثاني يتوجها بإملائها قيمة و فتح باب المناقشة الحرة بين العلماء أمام أعضاء السلك الدبلوماسي الإسلامي و رجال السياسة و يشارك شعب المغرب العربي عن طريق التلفزة في الاستفادة من هذا الحزار الإسلامي الحي في أعلى المستويات فهي عبارة عن منتدى عام تتبارى فيه رجالات الفكر و جهابذة المعرفة من الخليج إلى المحيط. و قد أسس جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله " دار الحدث الحسنية" التي تشرفت بالتدريس فيها منذ تأسيسها أي منذ أزيد من 10 سنوات تخرج منها عشرات الطلبة متخصصين في علوم القران و الحديث و معلوم أن أول من بنى دار الحديث(التي كانت تعرف في الشرق بدار السنة) و قد انقطع بدار الحديث الأشرفية المغاربة محمد بن إبراهيم المراكشي المتوفى عام 752هـ و ليوسف بدر الدين بن عبد الرحمن البياني المراكشي وهو والد بدر الدين الحسيني (أصله من مراكش ولد و ببيان بمصر و توفي بدمشق 1279هـ) كتاب التحديث عن نازلة دار الحديث و مما تمتاز به دار الحديث الحسنية الذي أبى صاحب الجلالة إعزازا لقدرها إلا ضمنا لديوانه إنها تحتضن جماعة من الطلبة الوافدين من أنحاء العالم الإسلامي، ومما يجدر ذكره ها هنا أن طالبا ماليزيا حصل على شهادة الدبلوم في العلوم الحديثية حول منهجية التفسير عند الإمام البخاري، و معلوم أن طريقة الإسناد التي ارتكز عليها الإمام البخاري سواء في أحاديث التفسير أو الأحكام ترتكز على أسلوب علمي دقيق ربما كان النموذج الأول الذي أحدثته أوربا في منهجية البحث العلمي بزعامة روجي بيكون الذي ثبت أنه كان ملما باللغة العربية و درس منهجية علماء الإسلام عن طريقها و يتصل سندها إلى الإمام البخاري عن شعبتين: شعبة مغربية نتصل فيها بشيخ الإسلام بتونس العلامة إبراهيم الرياحي و السند الآخر هو السند المشهور عن ابن ظاهر الوتري، و كان سلطان المغرب الحسن الأول قدس اله روحه يقرأ البخاري في الأشهر الثلاثة وله رسالة كتبها لسائر الأمصار حضهم على التقوى و إتباع السنة و في عام 1290هـ أقام سنة عيد الفطر بالرباط و ختم به صحيح البخاري على العادة، و قد سردت في حفلة ختم البخاري عام1290هـ نيف وخمسون قصيدة أجاز عنها كل الشعراء. و تجلى المكانة المرموقة التي كانت لصحيح البخاري في مدى اهتمام العلماء به شرحا و تعليقا و حفظا و تدريسا و قد أدرجنا في هذا البحث قائمة كاملة لهذه الشروح مع اسم المكتبات التي توجد بها بأرقامها و نعفيكم من سردها نظرا لضيق الوقت و ستجدونها إن شاء الله وثيقة المؤتمر التي ستنشر فيها الأبحاث كاملة، و قد وهم ابن خلدون عندما زعم أن علماء المغرب أكبوا على صحيح مسلم خاصة و أجمعوا على تفضليه على كتاب البخاري و أن كان قيد ذل التفضيل في غير الصحيح ما لم يكن على شرطه أو يكفي التنظير بين ما صدر حول الكتابين للتعرف على مدى أهمية كل منهما على أن ما صنف من شروح لموطأ نفسها لا يقل عن شروح مسلم و قد وضعنا قائمة تنظيرية للمقارنة بين هذا و ذاك في قائمة طويلة نعفيكم من سردها كما وضعنا لائحة نموذجية غير تحديدية لمحدثي الأندلس الذين اهتموا بشرح صحيح البخاري و التعليق عليه مع توقع المخطوطات في المكتبات العالمية.

و من المحدثين المغاربة الذين زاروا الشرق فكان لهم ضلع في دعم الحركة الفكرية المنطلقة من الحديث النبوي العشرات نخص بالذكر منهم:

- ابن حركالش سالم بن إبراهيم السر قسطي الفاسي الذي توفي بمصر (الذيل و التكملة س4 ص:2).
- ابن سحنون مروان بن عبد الملك اللواتي الطنجي الذي أقام في المشرق سبع عشرة سنة يقرر الحديث.
- موسى بن إبراهيم أبو هارون الاغماتي المحدث الذي رحل إلى مصر و الحجاز و خراسان و ما وراء النهر و أقام بنيسابول و المحدث المغربي أبو بكر بن ياسر الجياني الذي زار بخاري عام551هـ.
- يونس بن طربية القصري الذي تولى قضاء طرابلس الغرب وولي التدريس بدار الحديث الكاملة بالقاهرة عام641هـ (الذيل و التكملة)
- أحمد بن المواق التجيبي الفاسي (المتوفي عام 725هـ) الذي استظهر الموطأ بمصر فضرب شيوخ المالكية الطبول على رأسه إشادة و تتويها (السلوة ج3 ص244).
- يحيى بن عبد الله الزرهوني الذي أقرأ الحديث في المصرغتمشية.

- ومحمد الدفاق الدغمي السلاوي الذي قام بتدريس الحديث في المدينة المنورة أكثر من عشر سنين.
- و ابن موسى أبو البركات المراكشي الحافظ الذي أخذ الحديث عن الولي العراقي و ابن عرفة و ابن حجر الهيثمي و لم يكن له بالحجاز نظير.

و نختم الإشارة إلى ظاهرة مهمة و هي أن الحافظ ابن حجر تلميذ ابن خلدون هو أيضا تلميذ لكثير من العلماء المغاربة منهم نساء و من جملتهم ابن أبي البركات الكمال المكناسي و ابن شقرا السلاوي و تقي الدين الفاسي و العالمة المحدثة عائشة بنت علي الصنهاجية.

تلك صورة مبكرة عما كان لإمام البخاري من ضلع وطيد في دعم الدراسات الحديثية خاصة و العلوم الإسلامية عامة في المغرب العربي منذ أزيد من ألف عام فكان إحدى الركائز التي وثقت الروابط بيم الرق و الغرب قفي ظل الإسلام صولته و لأمة المحمدية و حدتها و عزتها و لدار الإسلام الصهاينة ذاتيتها بتحرر القدس و فلسطين من قبضة الصهاينة و الصحراء المغربية من قبضة الاستعمار أنه على ذلك قدير و بالإجابة و السلام عليكم و رحمة الله.